تأملات

فى الأنـــتراكت

للأستاذ عزيز أحمد فهمى

يقضى الأستاذ عزيز عيد فى هذه الأيام فترة من حياته تشبه فترة « الأنتراكت » فى عمله . وهو لا يقضيها متكاسل العقل راكد الحس ، وإنما هو يشغل نفسه فيها بالإقبال على معاشرة حيوان ، والتأمل فى شعوره وأسلوبه ، وتعبيره عن هذا الشعور وطريقته فيه ، وما قد يصاحب هذا من تفكير يسير أو كبير

وهذا الحيوان الذى يعاشره الأستاذ عزيز ويدرسه فى هذه الأيام كلب اسمه « بوى » وهو يربيه منذ سنوات ويعزه ويحبه حبه لأوفى ربيب كفله

والوقت الذى يقضيه هذان الصديقان الصدوقان معاً لا يختلف فى شىء عن الوقت الذى يقضيه كل صديقين صدوقين فهما يجلسان معاً يتسامران ، وهما يخرجان معاً يتريضان ، وهما يتشاغبان ويتصارعان ويتلاكمان ، وهما أيضاً يتصالحان ويتخاصمان ، ويتعاتبان ويتقابلان ويتعارضان ... أما (بوى) فهو مع صاحبه مخلص صادق نقى الإخلاص والصدق ، وأما صاحبه فلا يقل عنه إخلاصاً وصدقاً وإنما هو يزيد عنه التفاتاً إلى ما بينهما من الإخلاص والصدق ، وإلى ما هما فيه من عناء الحياة والأحياء

يجلس الأستاذ عزيز مع صاحبه يحدثه عن آلامه مما فات وعن آماله فيما هو آت ، والكلب قاعد ينظر إليه مصغياً منتبهاً إذا رأى صاحبه طرب فقد طرب معه ، وإذا رآه أسف فقد يأسف معه حتى يمل الأستاذ عزيز عيد فيستأذن (بوى) فى أن ينصرف ، أو يرجو (بوى) لينصرف هو ، وما أسرع (بوى) إلى أن يطيع وأن يلبى الرجاء كما يلبى النداء

فيه كل معانى الحياة ودلائلها ، وليس ينقصه إلا أن يعرف الغريب المعقد منها كى يساوى الإنسان فى موقفه فيها

خرج يوماً مع صاحبه إلى رياضة فى الخلاء على مقربة من طريق القطار ، ولم يكن قبل ذلك قد رأى قطاراً . ويروى الأستاذ عزيز هذه القصة فيقول : « سمع (بوى) صوت القطار وهو مقبل من بعيد يصفر ويرعد فيدا عليه الذعر وصاح فىّ ينبهنى كأنما حسبنى فى غفلة عنه ، وكأنما حسبه وحشاً ضارياً جباراً يعدو إلينا ليفتك بنا ، وكأنما هالته قوة ذلك الوحش كما هاله ضعفنا جنبه ، وكأنما كان بصراخه يريد أن يقول لى : خذ حذرك واتق هذه النازلة ، وأنقذنى معك إذا استطعت ، فلست بقادر على صده عنه ولا دفعه عن نفسه ، حتى ولا عرقلته عنك ريثما تفر ... لقد كان (بوى) يقول لى هذا كله فى صراخه فقلت له : لا تخف يا (بوى) فهذا قطار ... ورآنى (بوى) مطمئناً فاطمأن إذ أدرك أنه لا يمكن أن يملأنى هذا الاطمئنان كله لو كان هذا القطار المقبل وحشاً ضارياً مفترساً . ولكن القطار اقترب وضجته تعالت فتوسط (بوى) ما بينى وبين القطار وهاج وجن نباحاً ، فاضطررت إلى أن أقف وأن أضمه إلى ريثما يمر القطار ، فضممته ونظرت فى عينيه أؤكد له الأمان والسلامة ، فاذا بعينيه ترسلان إلى نظرة معناها : هأنذا معك ، وإن كنت ترانى خائفاً فإنما خوفى عليك أكثر من خوفى على نفسى » ... ويسترسل الأستاذ عزيز فى وصف نظرات (بوى) بما لم يصف به نظرات ممثل ولا ممثلة

ويروى الأستاذ عن صاحبه قصة أخرى فيقول : « كان لنا جار وكان لجارنا كلبة ، وكان بين بوى وبين هذه الكلبة غزل وغرام لم يرض عنهما الجار ، فكان يطرد (بوى) كلما رآه يحوم حول معشوقته ، حتى كان يوم ضرب فيه الرجل (بوى) بعصاه ضربة قاسية آلمته ولم يستطع معها إلا أن يفر هارباً ، وليس من عادة (بوى) أن يهرب ولا أن يفر . ومضى الرجل إلى حاله فى ذلك اليوم . ولكن بوى كان يعرف مواعيد دخوله

وخروجه، فبدأ ينتظره ويتعمد انتظاره ليفجأه يوماً فينهشه نهشاً، ولكن الرجل كان يتقى دائماً هجمات بوى بعصاه يلوح له بها، والعصا أداة كفاح إنسانية يخشاها كل كلب ويعجز حيالها. وشكا لى الجار (بوى)، وقال لى : صحيح إن العصا تقيني هجماته ولكني قد أغفل يوماً عنها فلا أسلم منه، فأرجوك أن تنبهه إليه وأن تمنعه عنى، فقلت للجارى : أنت الذى وقفت نفسك هذا الموقف، فقد كان عليك أن تعرف أن لهذا الكلب كرامة، وأنه يعلم تمام العلم أن الذى يعلقنا به هو رغبتنا فى حمايته، فإذا ثبت لنا وله ولك أنه عاجز عن حماية نفسه فقد نتخلى عنه وهو يكره هذا، لأنه عاشرنا مدة ما فأحبنا كما رأى أننا نحبه ... فعليك إذن أن تحمى منه نفسك، لأنى لو نهرته عنك بعد الذى كان منك أغراه ذلك بقبول الذل والضيم، وكنت أنا محرضه ودافعه إلى هذا ... فقال لى الرجل : إن هـذا لا يمنعك من أن تحول بين كلبك وبينى ... وكنت من يومها أنتظر خروج الجار ودخوله مع كلبى لأشغل الكلب عنه ولأمنعه من الفتك به أو الهجوم عليه، وكنت أرى فى الكلب تعجباً من موقفى هذا ودهشة لو كان ينطق لعبر لى عنهما بقوله : فيم حيلولتك بينى وبين هذا القاسى، وقد رأيت أنه ضربنى ولو رأيت أنا أحداً ضربك لما حلت بينك وبينه وإنما كنت عليه معك ؟ ... ثم خطر لى أن أصلح ما بينهما، فانتظرت مرور الرجل يوماً فاستوقفته وناديت (بوى) وأخذت أربت على كتفى الرجل، وأربت على كتفى الكلب، وأقول لكل منهما إن الصلح خير، وأقول لكل منهما إن الصفح والعفو من شيم الكرام، وأقول لكل منهما إنه من الممكن أن يتناسيا الماضى وأن يستأنفا الصداقة من جديد، ثم أشرت إلى الرجل فبدأ يمسح للكلب ظهره، فراغ الكلب فى أول الأمر رافضاً هذا الصلح، ولكنه لما رآنى أستحسنه وأطلبه منه مسح رأسه هو أيضاً فى ساق الرجل ثم نظر إلىّ يقول بنظرته : لقد صفحت عنه لكى ترضى ...

وتجر هذه القصة إلى ذاكرة الأستاذ عزيز قصة أخرى فيقول : وقد تخاصمت أنا ذات مرة مع بوى، فقد كنا نلعب معاً، ومن عادتنا إذا لعبنا معاً أن أضربه ضرباً خفيفاً وأن يعضنى عضاً خفيفاً، وأن يسامح كل منا الآخر فيما يناله من ألم الضرب الخفيف أو العض الخفيف، لأن كلا منا يعلم أن هذا مزاح ولعب ولا أكثر، غير أنى فى تلك المرة برعت فى مشاكسة (بوى) حتى اغتاظ غيظاً شديداً فعضنى عضة أسالت الدم من إصبعى ... فرأيت هذا ذنباً لا يمكن أن يغتفر لأنى إذا اغتفرته فقد لا يحسبه (بوى) ذنباً، وقد لا يجد بعد ذلك مانعاً من أن يعضنى عضة أقوى من هذه العضة، وقد يكون فى ذلك ضرر من الخير أن أتقيه وألا أنتظر حتى يحدث فأعالجه ... فأمسكت فى يسراى بكرسى جعلته درعاً، وفى اليمنى عصا انهلت بها على (بوى) ضرباً موجعاً مبرحاً علم الله أن كل ضربة منه كانت تنزل على قلبى قبل أن تنزل على جسمه، ولكنى كنت أرى أنه لا مفر من هذا الضرب عقاباً وردعاً ... وبعدها خاصمت (بوى) وخاصمنى (بوى) أيضاً ... خاصمته : فلم أعد أكلمه، ولم أعد أناديه، ولم أعد أساميره، ولم أعد ألعب معه. وخاصمنى : فلم يعد ينتظرنى ليلاً، ولم يعد يدنو منى نهاراً، ولم يعد يمس طعامه الذى كان يوضع له ... وصام هكذا ثلاثة أيام، كان خلالها كلما رآنى ألقى إلى نظرة معناها عند من يفهمون النظرات : لا تكلمنى، ولا أكلمك، وأنت تعرفنى وأنا أعرفك ... أنت لم تسامحنى ولكنى سامحتك ... وكنت أنا أنظر إليه وأقول له بعينىّ : الذنب ذنبك والبادئ أظلم ... ومع هذا الخصام، وفى عزه وشدته، كنت ألمح (بوى) وأنا أرتدى ملابسى أمام المرآة، يدنو من باب الحجرة مختفياً جسمه كله ويطل إلىّ بعينيه كمن يريد أن يرانى صحيحاً سليما معافى، وكمن يكفيه أن يرانى كذلك ... وكنت أنا أتغاضى عن نظرته هذه ولا أبدى له التفاتى إليها ... حتى كان اليوم الثالث، فالتقت أعيننا، فإذا بهذا الذى كان فى عينيه يذوب ويتلاشى، وإذا بعينيه تلمعان عوضاً عنه بقوله : أما اكتفيت خصاماً ؟! إنه ليس لى أن أبدأك بالصلح فربما كنت لا تزال غاضباً أو مستاء ... ! عندئذ انخذلت أمام هذا الوفاء الصامت، وابتسمت وناديته وقلت : لقد كانت عضة مؤلمة يا (بوى)، وأظنك لا تذكر أنى ضربتك قبلها ضربة مؤلمة ... صحيح أن (بوى) لم يكن ليفهم معانى هذه الكلمات جميعاً مفصلة ... ولكن (بوى) أدرك من صوتى ومن بريق عينى

— كما يدرك دائماً — أي حالة نفسية أنا فيها . وفي هذه الساعة أدرك (بوى) أني أعاتبه ، كما أدرك أن الموقف يقتضيه الاعتذار عما بدر منه ، فأطرق برأسه وبعينيه البليغتين إلى الأرض ، واقترب مني متباطئاً متذللاً مسترضياً فسحت له ظهر يدي ، فقبل يدي بلسانه ، فعانقته وعانقني وعدنا صديقين حبيبين »

* * *

بهذا الوضوح ، وبأكثر منه تفصيلاً يتحدث الأستاذ عزيز عيد عن كلبه (بوى) ، وهو كلب من ذلك النوع الضخم الذي يسمونه « وولف » والذي كان منه فقيد السينما « رن تن تن »

وليس (بوى) ولا « رن تن تن » بمفردين في الكلاب فهما يدركان ما لا يدركه غيرهما من أفراد جنسهما ، بل ولا جنس الكلاب بمفرد في الحيوان فهو وحده الذي يشعر بالحياة ، والذي يعبر عن شعوره فيها والذي يتفهمها فهماً يسيراً أو فهماً كبيراً ، وإنما كل الكلاب مثل (بوى) و « رن تن تن » وكل الحيوانات مثل الكلاب وإن كانت تختلف في أنصبتها من الحياة . وإذا كان الناس متشاغلين عن الحيوانات ، فإن لها من الشعراء والفنانين نصراء وأصدقاء يعاشرونها ويتفاهمون معها ، ويدرسونها الدراسة الحية القائمة على المعاشرة وتبادل المواطف ، وهذه الدراسة أشرف بكثير من تلك الدراسة التي يعمد إليها العلماء مع الحيوان

وقد يعاني الفنانون استهزاء كبيراً من العامة والمثقفين لهذه النزعة ، وهذه النزعة وحدها هي التي ستكشف للبشرية بعد جيل أو أجيال عن حقيقة موقف الإنسان من هذه الأحياء التي شاء الله أن تعيش معه على ظهر هذه الأرض . وإذا كان الإنسان يدعي أن له في هذه الأرض السيادة ، فإن عليه أن يستكمل لهذه السيادة شروطها ، وأول شرط منها أن ينظر فيما سخره الله له من الخلائق ، وأن يفهم طبائعها حتى يستطيع أن يركن إلى كل منها يطلب عنده علماً بما يجهله وبما آتاه الله الحيوان من قوى

وإذا كان الإنسان يرى في بعض الحيوان بأساً وقوة يخشاها فكل حيوان يرى في الإنسان دهاء وخبثاً يخشاها هو أيضاً ويتقيها ويقاسي منهما الأمرين ، وعندما يأمن الحيوان جانب الإنسان فإنه من غير شك يوليه بذلك أماناً وصداقة ، والإنسان يستغل في نفسه هذا الامتياز منذ القدم ، ولقد استأنس به أسوداً وفيلة وطيراً ووحشاً ، ولعل القدماء كانوا أحسن عشرة للحيوان منا ، فنحن قد غرتنا مدنيتنا وشغلتنا حتى لم نعد نعبأ إلا بأن نكون سادة ، ولو كنا الطغاة الجاهلين ...

عزيز أحمد فهمي

الفصول والغايات

في تمجيد الله والمواعظ

وهو معجزة أبي العلاء المعري في النثر

لم يبق منه إلا نسخ محدودة

فاطلب نسختك قبل نفادها

يباع في ادارة الرسالة وثمنه ٣٠

معهد التناسليات

قد افتتح معهد التناسليات ببرلين تأسيس الدكتور ساجنرس لتيسير شغله فرعاً بمدينة القاهرة بعمارة روفيه رقم ٤٦ بشارع المدابغ لمدينة سلطان مصر والتليفون تليفون ٥٢٥٧٨ لمعالجة جميع الاضطرابات والأمراض والتراخي التناسلية والعقم عند الرجال والنساء وتجديد الشباب بحسب الطريقة المتبعة في المعهد الرئيسي بمدينة برلين . ومواعيد العيادة يومياً من الساعة ٩ ١ صباحاً ومن ٤ ٥ مساءً .

ملاحظة — لا يمكن اعطاء نصائح بالمراسلة إلا بعد الاجابة على مجموعة الاسئلة البيولوجية المحتوية على ١٤١ سؤالاً التي يمكن الحصول عليها نظير ٥ قروش صاغ .

(سجل تجاري ٥٢٢٧)